فيصير كلاما لم يكن تبعه بيان احوال القيمة ثم اضرب عن بيانها وانتقل عنه الى توبيخ الكفار الذين ينكرون البعث والحساب وان في قوله ان لن نجعل مخففه من الثقيلة اى بل زعمتم ان الشان لن نجعل لكم موعدا للبعث يبعثون فيه ويحاسبون قوله هنية تصغير هنة يكنى بها عن الخصلة الشنيعة يقال في فلان هنات اى خصلات شر ولا يقال ذلك في الخير قوله ينادون هلكتهم التي فان كل من وقع في الهلكة يدعو بها على نفسه كما في قوله تعالى يا حسرة على العباد فانه نداء للحسرة عليهم كانه قيل لها تعالى يا حسرة فان هذه الحال من الاحوال التي حقك اى تحضرى فيها الا انهم لما نادوا الويل المضاف الى انفسهم حيث قالوا يا ويلنا كانت المنادى هلكتهم التي هلكوا بها من الهلاك قوله قرر ذلك اى قرر قبح الكبر والافتخار ببيان انه من سنن ابليس فانه لما امتنع عن السجود لآدم استكبارا وافتخارا بان اصله نار واصل آدم تراب والنار علوى نورانى لطيف فيكون اشرف من التراب الذى هو سفلى ظلمانى كثيف واداه ذلك الكبر الى ان صار ملعونا مخلدا في النار بعد ان كان ابليس من الملائكة ومقدمهم ومعلمهم واشدهم اجتهادا في العبادة حتى لم يبق في سبع سموات ولا في سبع ارضين موضع شبر الا وقد سجد الله تعالى عليه سجدة حتى امتلأ من العجب بنفسه حين لم ير احدا مثله فابى ان يسجد لآدم استكبارا فقال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فلعنه الله تعالى وطرده والملائكة لما خلقوا من النور الروحانى العلوى كان من طبعهم الانقياد لاوامر الله تعالى والطاعة والعبودية فلذلك لما امروا بالسجود لآدم لم يتلعثموا في ذلك وسجدوا له طوعا واذعانا امتثالا لامر الله تعالى وانقيادا لحكمه كما قال تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون بخلاف ابليس فانه تعالى لما خلقه للضلالة والغواية والاضلال والاغواء خلقه من النار التى طبعها الاستعلاء والاستكبار وان نظمه الله تعالى في سلك الملائكة منذ خلقه وكساه كسوة الملائكة وانه قد شبه بافعالهم تقليدا لا تحقيقا حتى عد من جملتهم وذكر من زمرتهم بل زاد عليهم في الاجتهاد بالاعتقاد فاتخذوه رئيسا ومعلما لما راوا منه اشتدادا واستزادة في الاجتهاد بالارادة دون الارادة فلما امتحن بسجود آدم في جملة الملائكة ظهر ما يقتضيه وخلع عنه كسوة اهل الرغبة والرهبة ليميز الله الخبيث من الطيب فطاشت عنه تلك الخادعات وتلاشت منه تلك العبادات وعاد الى الشقوة الى طبعه حين تبين الرشد من اهله فسجد الملائكة وابى ابليس واستكبر من فيه وظهر انه كان من الجن وانه طبع كافرا والعياذ بالله وهذا الكلام مبنى على ما روى عن الحسن انه قال ما كان ابليس من الملائكة قط طرفة عين بل كان من الجن الذى تولد من الجان وهو ابو الجن

الجن واصله واول من عصى ربه كما ان آدم عليه السلام ابو الانس واصلهم روى انه لما خلق الارض خلق الجان من مارج من نار يعنى من لهب لا دخان لها فكثر نسله وهم الجن بنو الجان فاسكنهم الارض فعبد وا دهرا طويلا في الارض ثم ظهر فيهم البغى والحسد فافسدوا وافسدوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة فهبطوا الى الارض وحاربوا الجن وهزموهم وطردوهم من وجه الارض الى شعوب الجبال وجزائر البحور وروى ان الملائكة سبوا ابليس وهو صغير من بين الجن ونشأ عند الملائكة وكان مغمورا مغلوبا بالالوف منهم فغلبوا عليه فلما كان ابليس واحدا فيهم بالتغليب تناوله امر الملائكة بالسجود لآدم فكان قوله تعالى فسجدوا الا ابليس استثناء متصلا نظرا الى دخوله فيهم بالتغليب ويجوز ان يكون منقطعا وقيل الاستثناء متصل بناء على انه قد كان ملكا من جملة الملائكة فغيره الله تعالى صورته وطبعه وسيرته الى صورة الجن وطبعهم وسيرتهم لفساد نيته واستكباره وكفره فصار ممسوخا كما مسخ الله تعالى بعض بني آدم فصاروا قردة وخنازير الا انه لما سال النظرة الى قيام الساعة وصار له نسل ولد الخ ان سائر الممسوخات لا يبقى بعد ثلاثة ولا يصير له نسل فعلى هذا يكون قوله كان من صار من الجن بان مسخت صورته الى صورة الجن وكذا قوله وكان من الكافرين اى صار من الكافرين وقيل معناه كان في علم الازلى انه يكون من الجن وقت عصيانه ربه وابائه السجود وكذا قوله وكان من الكافرين معناه انه كان في علم الله تعالى سيكفر لان جمهور المحققين ذهبوا الى ان ابليس لم يكن كافرا من اول الامر بل انه كان مؤمنا ثم صار كافرا برده امر الله تعالى واستقباحه كما ان عبدة الاصنام كانوا كفرة وقت عبادتها ثم صاروا مؤمنين بالتبرى عنها الا انه لما كان الاعتبار في الايمان والكفر وموافاة المرء قبل ان الذى علم الله تعالى من حاله يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة وان صلى وصام قبل ان الحكم بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى الشيخ الاشعرى رحمه الله قوله اعقب ما وجد منه تحزونه اوليائكم حكى الله تعالى اتولا عداوة ابليس وذريته لاولاد آدم ثم انكر على الكفار الذين افتخروا على فقراء المسلمين بشرف الانساب وكثرة الاموال والاولاد في تركهم الذين بالحق بناء على التكبر والترفع فكانه تعالى قال لهم انكم في هذا الفعل اقتديتم بابليس في تكبره على آدم وعلمتم ان ابليس عدو لكم فكيف يقتدون به في طريقه المذمومة وكل من كان يكتف غرضه في اظهار العلم والمناظرة التفاخر والترفع مقتد بابليس فيدخل في هذا الانكار والتعجب روى عن الشعبى انه قال كنت جالسا يوما اذا اقبل رجل فقال اخبرنى هل لابليس زوجة

Copyright © King Saud University